ورشة حفيدات صفيّة

تفريغ لمحاضرة الشيخ الشهيد أنور العولقي رحمه الله وتقبّله

بعنوان

[إذا أراد اللّه شيئاً هيّأ له أسبابه]

| مدة المحاضرة : ساعة واحدة وخمس دقائق |

تفريغ محاضرة

إذا أراد الله أمراً هيأ له أسبابه

للشيخ:

أنور العولقي

تقبله الله

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و الصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا

أيها الإخوة الأفاضل السّلام عليكم و رحمة الله وبركاته:

عنوان هذه المحاضرة إذا أراد الله شيئًا هيّأ له أسبابه، وهذا العنوان مُقتبسٌ من كلامٍ لابن الأثير ذكره في الكامل في التاريخ، قالَ إذا أراد الله أمرًا هيّأ له أسبابه، ونريد أن نتحدث عن هذه القاعدة في سياق أن الله ﷻ يُريد للأمة النصر ولذا فإن الله ﷻ يُهيّئ للنصرِ أسبابه اليوم.

أوّلاً : هل الله ﷻوعدَ بنصرِ هذه الأمة؟ نعم الله ﷻ يقول ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ. إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾. هذا وعدٌ من الله أنزله في الزّبور؛ الزّبور أُنزلت على سيّدنا داوود عليه السّلام﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ. إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ. إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ. وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾، أيضًا وعدٌ من الله ﷻ بنصر المرسلين وأنّ جندَ اللهِ ﷻ هم الغالبون، هذا وعدٌ من الله بنصرِ الأمّة.

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ نورُ اللهِ ﷻ سَيَتِم، مع أنّ الكافرين لا يرضون لكنّه سيتم...هذا وعدٌ من الله. (قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ يأمرهم أن يستعينوا بالله...﴿اسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ﴾

وأن يصبروا فلابدّ للنّصرِ من صبر، إنّ النصرَ مع الصبر، ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، الأرض لله يملكها هوَ ولله ما في السماواتِ والأرض وقد تكون اليوم بيدِ كافرٍ ولكن في آخر الأمر تئولُ إلى المتّقين ﴿وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، في الأخير... في آخرِ فصل من كتابِ التاريخ الأمر يكون للمؤمنين المتّقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

وعدٌ من الله ﷻ أنه سيستخلفُ الذين آمنوا وعمِلوا الصالحات، لابدّ من الإيمانِ والعملِ الصالح... فكفى بهذه الآيات دليلًا على أنَّ الله –عزّ وجلّ– سينصرُ هذه الأمّة، ليست آية ولا آيتان وإنما آيات! فننتقلُ إذًا إلى أحاديث المصطفى، بعض أحاديث المصطفى ﷺ التي وعدت هذه الأمّة بالنصر.

الرّسولُ ﷺ ذكرَ لنا في حديثٍ واحد مختصر للتاريخ، قالَ –صلواتُ الله وسلامه عليه– وهذا الحديث حسنُ الإسناد (ستكونُ فيكم النبّوة ما شاء الله أن تكون، ثم ينزعها الله إذا شاءَ أن ينزعها، ثُمَّ تكونُ خلافة راشدة فتكونُ فيكم ما شاء الله أن تكون ثم ينزعها الله إذا شاء أن ينزعها، ثم تكونُ مُلكًا عضوضًا فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم ينزعها الله إذا شاء أن ينزعها، ثُمَّ تكونُ مُلكًا أو حُكمًا جبريًّا فتكونُ فيكم ما شاء الله أن تكون ثم ينزعها الله إذا شاء أن ينزعها، ثم تكونُ خلافة على منهاج النبّوة)[1]

هذا موجز للتاريخ...

المرحلة الأولى:

النبوّة، نبوّة محمّد –صلوات الله وسلامه عليه– ثم بعدها خلافة راشدة بدأت بأبي بكر الصديّق ﷺ وانتهت بعليٍّ بن أبي طالب ﷺثم كانَ معاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنهما– كما قال المؤرّخون هو أوّل ملوك الإسلام .

وامتدّت الدولة الأمويّة لقرابة قرنٍ من الزّمان ثمَّ جاءت الدولة العبّاسيّة وأيضًا كانت ملكيّة ثمَّ بعد ذلك المماليك وإن كانوا يحكمون تحت ظل خليفة عبّاسي صوري ثم بعد ذلك العثمانيُّون في بداية أمرهم تسلطنوا لكنهم بعد ذلك تسمّوا بالخلافة، كانوا أوّلًا يتسمّون بالسُلطان ثم بعد ذلك أخيرًا كان يُلقّب بالخليفة، وهذه المرحلة مرحلة مُلك تخلّلها فترات مُلك عضوض أي فيه شدة على النّاس ولكنهم في الجملة كانوا يحكّمون كتاب الله ﷻكان فيه جور... كان فيه ظلم ولكنّهم في الجملة... أمور الأمّة كانوا قائمينَ بها، يُجاهدون في سبيلِ الله، يحمون الثغور، يدافعون عن مقدّسات الأمّة، يحرصونَ على مصلحةِ المسلم... يُقيمونَ حدودَ الله ﷻ ولكن

[1] روى الإمام أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه الله، قال: كنا جلوساً في المسجد فجاء أبو ثعلبة الخشني فقال: يا بشير بن سعد أتحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمراء، فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته. فجلس أبو ثعلبة.
فقال حذيفة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت .قال حبيب :فلما قام عمر بن عبد العزيز، وكان يزيد بن النعمان بن بشير في صحابته، فكتبت إليه بهذا الحديث أذكره إياه. فقلت له: إني أرجو أن يكون أمير المؤمنين -يعني عمر – بعد الملك العاض والجبرية، فأدخل كتابي على عمر بن عبد العزيز فَسُرَّ به وأعجبه.
وروى الحديث أيضًا الطيالسي والبيهقي في منهاج النبوة، والطبري ، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، وحسنه الأرناؤوط.

كانت تحصل أحيانًا مخالفات تدخل في باب الظلم والجور. ثمَّ بعد ذلك بدأت المرحلة التي سمّيت بالملك أو الحكم الجبري أي ديكتاتوري يجبرُ الناس جبرًا وهذا ما نعيشه اليوم، الخلافة الإسلامية سقطت وتحوّلنا إلى دويلات طوائف... كل مملكة مكتفية بما عندها من حد، ولا تتطلع إلى وحدة الأمّة ولا تسعى إلى ذلك، ولا تدعوا الأمم الأخرى إلى الإسلام، لا ترسل الصوائف ولا الشواتي كما كان أيّام الخلفاء في سائر تاريخ الأمّة يفعلون، حيث قال أحد الفقهاء: "يجب على الخليفة أن يغزو العدوّ مرة أو مرتين على الأقل في السنة"، وكانت تُسمى هذه بالصوائف... كانوا يُرسلون الجيوش في الصيف لكي تُجاهد الروم في الدولة البيزنطية الروميّة التي عاصمتها القسطنطينيّة التي الآن نُسمّيها باسطنبول.

ماذا بعد هذه المرحلة؟

يقولُ –صلوات الله وسلامه عليه– (ثمَّ تكونُ خلافة على منهاج النبوّة)، وهذا هو آخر فصل في التاريخ... خلافة على منهاج النبوّة. فهذا حديث فيه وعدٌ بأن الله ﷻ سينصرُ هذه الأمّة.

حديثٌ آخر... يقولُ – صلوات الله وسلامه عليه– (فيبلغُ هذا الدِّين ما بلغَ اللّيلُ والنّهار)[٢]، ما معنى هذا الكلام؟

(فيبلغُ هذا الدِّين ما بلغَ اللّيلُ والنّهار) أي حيثما وصل اللّيل في ظلامه والنهار بضيائه سيصل الإسلام وهل هناك بقعة في هذه الدنيا لا يصلها ليل أو نهار؟، معنى هذا الحديث أن الإسلام سيصل إلى كل الأرض، ثم يقول –صلوات الله وسلامه عليه– (ولا يتركُ الله بيتَ مدرٍ ولا وبر) أي الحضر والريف (إلا أدخله الله الإسلام)، فيدخلُ الإسلام في كل بيت... كل بيت... ستصلُ الدعوة إلى كل بيوتِ أهل الدنيا...أهل الأرض بعزِّ عزيزٍ أو بذلِّ ذليل... عِزًّا يُعزُّ الله به الإسلام وأهله، أو ذُلًّا يُذلُّ الله بهِ الشركَ وأهله، أي أنّ هذا الإسلام سيدخل إلى كل بيت إما بعز أي أنهم سيختارون الإسلام فيعزهم الله –عزّ وجلّ– بذلك أو بذل أي أنهم يُرغمون على ذلك بالفتح، هذا الحديث دليل على انتشار الدعوة.

---

[٢] عن تميم الداري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر " وكان تميم الداري يقول :" قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية .

أخرجه أحمد رقم (١٦٩٩٨) ٤/ ١٠٣، والطبراني في مسند الشاميين رقم (٩٥١) ٧٩/٢ ، والحاكم في المستدرك رقم (٨٣٢٦) ٤٧٧/٤ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، والبيهقي في السنن الكبرى رقم (١٨٤٠٠) ٩ / ١٨١، وابن منده في كتاب الإيمان رقم (١٠٨٥) ٩٨٢/٢، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤/٦وقال : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح ، وأخرجه أحمد أيضاً رقم (٢٣٨٦٥) ٤/٦ ، وابن حبان من حديث المقداد بن الأسود رقم (٦٦٩٩) ٩١/١٥ ، والطبراني في الكبير رقم (٦٠١) ٢٠ / ٢٥٤ ، وفي مسند الشاميين رقم (٥٧٢) ٣٢٤/١ ، والحاكم في المستدرك رقم (٨٣٢٤) ٤٧٦/٤وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، والبيهقي في السنن الكبرى رقم (١٨٣٩٩) ٩ / ١٨١، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤/٦وقال : رجال الطبراني رجال الصحيح ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٣) ١ / ٣٢ ، وفي مشكاة المصابيح رقم (٤٢) .

هناك حديث آخر...

لأنه قد يتبادر للذهن أن الإسلام ينتشر انتشار دعوي، ولكن سلطة الإسلام و حكم الله ﷻ في الأرض لا تصل إلى كل الأرض! لا... هناك حديث آخر وهذا الحديث في صحيح مسلم يقول ﷺ (إن الله زوى لي الأرض)[٣] أي جمعها لي... (فرأيتُ أن مُلك أمّتي سيبلُغُ ما زُويَ لي منها)... مُلك، الحديث الأوّل دعوة وهذا حديث مُلك أيّ أن الدعوة ستنتشر في كل الأرض والملك سيصلُ أيضًا إلى كلِّ الأرض. هذه مُبشّرات عظيمة لنا ولا بأس أن نستطرد هنا... سبحان الله أحيانًا كانت البُشريات تأتي للأمة في أحلك الظروف وفي أشدّها، فتكونُ بشرى للبعض فتنشرح بها الصدور، وتكون فتنة للبعض فيفتن بذلك لأنه يرى بأن الواقع لا يصدِّق هذا الوعد أو هذه البُشرى.

فمثلًا عندما بشر الرسول ﷺ الصحابة... عندما تعرضت لهم الصخرة في الخندق فبشّرهم الرسول ﷺ الفتوحات العظيمة وكانوا في ذلك الوقت محاصرين من قبل قريش و قطفان واليهود في داخل المدينة فقال أحد المنافقين: "أحدنا لا يأمن على قضاء حاجته! ومحمدٌ يخبرنا بفتح فارس والروم!". نحنُ لا نأمن أن نخرج لقضاء الحاجة ومحمد ﷺ يقول ستفتح عليكم فارس و الروم.

فهذا ابتلاء... امتحان للناس، المؤمن سيفرح بذلك ويقول هذا ما وعدنا الله و رسوله ﷺصَدَقَنا الله ورسوله، وعدٌ من الله ﷻ إن الله لا يُخلفُ الميعاد، وأمّا المنافق ففيقول هذا الكلام غير منطقي... هذا الكلام غير واقعي، هذه أحلام، أنتم تحلمون، الأمّة ضعيفة، أوروبا وصلت وأميركا وصلت تسمعون هذا الكلام كثيرًا أميركا وصلت إلى الفضاء وأوروبا وصلت إلى الفضاء هذا فوقَ عرشِ الرحمن!. ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾، الله ﷻ يريد أن يمن على المستضعفين والمستضعف لا يكونُ مُستضعفًا إلا إذا كان العدوّ أقوى منه حتى تظهر نعمة الله ﷻعلى المؤمنين يُجعلون في وضع استضعاف؛ سلاح قليل وعدة قليلة... وإعداد على قدر ما يستطيعون وعدد قليل...

لأن المعركة إذا كانت مُتكافئة سيُحلّلون النصر بأسباب دنيويّة، سيقولون بسبب التدريب العسكريّ الممتاز، أو بسبب الأسلحة المتطورة، ولكن عندما يكون هناك فارق وفارق شاسع وبونٌ واسع بين المسلم والعدوّ...

---

[٣] حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ كِلاَهُمَا عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ – وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ – حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِى قِلاَبَةَ عَنْ أَبِى أَسْمَاءَ عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِىَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِى سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِىَ لِى مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ وَإِنِّى سَأَلْتُ رَبِّى لأُمَّتِى أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَإِنَّ رَبِّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّى إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ وَإِنِّى أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا – أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا – حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً وَيَسْبِى بَعْضُهُمْ بَعْضاً » . تحفة ٢١٠٠ – ١٩/٢٨٨٩

هنا تظهر المنّة الربانيّة عليهم بالنصر ﴿وَكَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. ولذلك الله ﷻ جعل موسى والذين معه في وضع استضعاف وجعل فرعون أعلى أهل الأرض في زمانه، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ﴾ و ﴿وقال أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾. ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾، حتى تظهر المنة والنعمة الربانيّة.

ذكرنا هذه الأحاديث الآن واتفقنا على أن النصر حاصل، المؤمن لابدّ أن يوقن بهذا... أنَّ الله ﷻسينصر هذه الأمّة، هذه الأمة ستنصر، وستنصر على أعدائها في العالم أجمع، لكن السؤال متى؟. البعض قد يقول اتفقنا على أن النصر قادم ولكنّه بعيد، لا يمكن أن ننتصر في هذا الوضع، والأمة متفرقة وضعيفة والعدو مُجتمع والسلطة بيده والبأس الشديد في جيشه لذلك الأمر مُستبعد.

نقول والله أعلم أن النصر بإذن الله قادم وقريب... قادم وقريب، ونذكر على ذلك دلالات وقرائن فيها بشرى لنا بإذن الله أن الأمر قريب وليس مُستبعد.

الأمر الأوّل... إذا أراد الله أمرًا هيّأ له أسبابه، الله ﷻ يُعدّ الأمّة للنصر، نذكر أمثلة من التاريخ على هذه القاعدة، ثم ننظر إلى الواقع اليوم.

الرسول ﷺ دعى قومه في مكّة وكان –صلوات الله وسلامه عليه– يعرض نفسه على القبائل عندما رأى أن قومه في قريش لاينصرونه وأن الأمور اشتدت عليه وعلى المسلمين. فاضطر ﷺ أن يبعث بعض الصحابة إلى الحبشة وأن يبحث لنفسه ولمن معه عن مخرج، ﴿وقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾، هذا الدعاء الذي علّمه الله ﷻأن يقوله، أن يخرج مُخرج صدق وأن يجعل له سلطانًا، لأن هذا الأمر لا يقوم إلا بسلطان، لابدّ له من قوة، أمّا الوضع في مكّة لا يُمكن أن تقوم بهِ دولة، فكان الله ﷻ يُعلم الرسول ﷺ أن يدعوا بهذا الدعاء، "اجعل لي من لدنك سلطانًا نصيرًا".

فكان الرسولﷺ يعرض نفسه على القبائل على ربيعة على مُضر على ثقيف عندما ذهب إليهم في الطائف على قطفان، القبائل كانت تأتي إلى الحج والعمرة في كل عام، يحجون ويعتمرون ولكن على طريقة الجاهلية، وكان الرسول ﷺ يخرج وكان يتعرض إلى أذىً شديد،

وكان يقول: "من يؤويني.. من ينصرني.. وله الجنّة".

قدّرَ الله ﷻ أنه في عام من الأعوام جاء رجالٌ من الخزرج، الأوس والخزرج هؤلاء هم قبائل أزديّة يمنيّة هاجرت وأقامت في المدينة النبويّة، وهم بنو أب واحد، ولكن حرب قبليّة نشبت بينهما وطال أمدها.

كانوا يجاورون اليهودَ في المدينة، وكان في المدينة ثلاث قبائل يهوديّة.. بنو قينقاع وبنو النضير و بنو قريضة. اليهود عندهم علم بالكتاب، وعلم بالنبوّات، وأما العرب فجاهلية جهلاء لا يعرفون شيئًا عن الأنبياء ولا النبوّة، فأهل المدينة خصّهم الله بميزة، عرب المدينة خصّهم الله بميزة، وهو أنّهم يسمعون من اليهودِ بعضَ الكلامِ الذي يقرؤونه، فكانَ عندهم بعض الثقافة العامّة فيما يتعلّق بالنبوّة والأنبياء، ومن ضمن الأمور التي كانوا يسمعونها من اليهود في المدينة...اليهود كانوا يهدّدون العرب ويقولون قد أظلَّ زمن نبيّ وسنتّبعه ونقتلكم معه قتلَ عادٍ وإرم، كانوا يهددون العرب.. وعندما تنشب بينهم خلافات يقولون لهم: يا ويلكم سنخرج معه ونقتلكم مثل قتل عادٍ وإرم. فوصل هؤلاء الرجال الخزرج إلى مكّة وإذا بهم يسمعون أن هناك رجل قال إنّه نبيّ، قالوا: "والله هذا الذي تحدثنا به يهود، فلا يسبقونا إليه".

اليهود يهدّدونا به...نحنُ نسبق إليه ونتبعه من أجلِ أن نقتلهم هم لا يقتلونا اليهود وإنّما نقتلهم نحن. الله ﷻ أراد الخير لهؤلاء فهيّأ لهم سبب، هذا السبب الأوّل الذي دعاهم إلى الإسلام. وهناك أيضًا سببٌ آخر، طبعًا السبب الأوّل... يعني الله ﷻيقول: ﴿وَلَمّا جَآءَهُمْ كِتَابٌ مّنْ عِندِ اللهِ مُصَدّقٌ لّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ يستفتحون أي يقولون سنفتحكم ونغزوكم بهذا النبي.. هذا كلام اليهود ﴿فَلَمّا جَآءَهُمْ مّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ﴾. فلمّا جاء الرّسول كفروا به، مع أنّهم كانوا يعلمون بهِ قبل مبعثه.

الأمر الآخر... وقعت معركة سُمّيت بوقعة بُعاث، هذه المعركة حصدت كِبارَ القوم الذين يتبعهم الناس ، هؤلاء القادة الذين في الغالب يقفون ضد الدعوة لأنهم يرون أنها تعترض مصالحهم ، يرونَ أنها ستنزعهم بعض المصالح؛ فلذلك يقفون ضد الدعوة ، لذلك إذا تدبرتم في القرآن ستجدون كثيراً قال الملأ ..وقال الملأ.. ، الملأ هؤلاء هم علية القوم سواءً في الجانب السياسي أو في الجانب الاقتصادي أو في الجانب العسكري هم قادة القوم أو مشايخ القبائل أو ما إلى ذلك ..

هم الذين يسيطرون على المجتمع. هؤلاء في الغالب يقفون ضد الدعوة لأن عندهم مصالح يخشون عليها ولا يعلمون أن الله ﷻ سيفتح عليهم في الدنيا والأخرة لو أنهم اتبعوه ، ولكن أحياناً النظر للفانية فيه قصر نظر ولا ينظر بنور الله ﷻ ولا ينظر لما في المستقبل ، وإنما يقيس الأمور دائماً بما يراه الآن ولا يفكر فيما غد ولا يفكر في العواقب، المهم وقعت هذه المعركة فحصدت رؤوس المجتمع، تقول سيدتنا عائشة رضي الله عنها – وهذا في البخاري– :"كَانَ يَوْمُ بُعَاثٍ يَوْمًا قَدَّمَهُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ، فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدِ افْتَرَقَ مَلَؤُهُمْ وَقُتِّلَتْ سَرَوَاتُهُمْ وَجُرِحُوا ، فقَدَّمَهُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ "، هذا تقديم من الله لرسوله، تهييء للمجتمع، فأصبح المجتمع بلا رؤوس؛ فبحثوا عن من يأتي إليهم ويخلّصهم من هذه المحن التي هم فيها تعبوا من حرب القبائل، تعبوا من الثأر فلذلك قالوا: لعل الله ﷻ أن يوحد بيننا ويؤلف بين قلوبنا بمحمد ﷺوكان هذا السبب في أن يسلموا ، فهذا مثال كيف أن الله ﷻ إذا أراد أمراً هيأ له أسباباً ، الله ﷻ أراد الخير للأوس والخزرج فهيأ لهم أسباب نعم كان في هذه الأسباب هذه المقتلة بعاث قتل فيها وسالت دماء.. أحياناً الخير يأتي من بين فكي الشر .

نموذج آخر :

أرسل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ جيشاً إلى العراق بقيادة أبي عبيدة الثقفي من التابعين اثنا عشر ألفَ جندي جاءوا .. وهذا ما عندهم في العراق غير هذا الجيش- يعني لو ينتهي هذا الجيش ينتهي الفتح في العراق- أعداد المسلمين محدودة في ذلك الزمان ومع ذلك كانوا يرسلون الجيوش إلى العراق وإلى الشام في نفس الوقت!

فتحوا جبهة مع الروم وجبهة مع الفرس ، جاء أبو عبيدة الثقفي بجيشه إلى النهر ، وكان "بهمن جازويه" قائد الفرس في الشاطئ الآخر ،

فقال له الفرس : إما أن تعبر إلينا أو أن نعبر إليك ، فقال : لا تكونوا أجرأ على الموت منا ، بل نعبر إليكم ، نحن الذين سنعبر إليكم . ووكّل أحد جنوده أو بعض جنوده ببناء الجسر فبنوا جسر ، وكان هذا استدراج من الفرس غدروا بالمسلمين بمجرد أن تجاوزوا الجسر، هجمت عليهم الفيلة وكانت خيول المسلمين لا تألف الفيلة ففرّت ، والخيالة إذا فرت يضعف موقف الرجالة فالفرس قتَلوا مقتلة عظيمة في جيش المسلمين.

أبو عبيدة الثقفي رفض الانسحاب وظل يقاتل حتى قُتل ، أمير الجيش قُتل ، وقُتل الأمراء الذين معه أيضاً ثم قام المثنى بن حارث الشيباني ببناء الجسر مرة أخرى لأن الجسر قطعوه ، بنى الجسر مرة أخرى وأمر من بقي بالانسحاب فانسحب قرابة -في حدود- ستةَ ألفٍ تقريباً أو أربعة ألف ، ألفان فرُّوا إلى الصحراء فروا فراراً ، وأربعة آلاف قُتلوا ، كانت مجزرة أربعة آلاف جندي في يوم واحد ! فكاد الجيش الذي في العراق أن يباد وينتهي الفتح في العراق .

من أين سيأتي الخليفة بجيش آخر ؟ لأن الوقت الذي سيستغرقه لإرسال المدد يكون قد انتهى الأمر ببقية الجند الذين في أرض العراق ، لكن سبحان الله ! الله ﷻ أراد أن يستمر هذا الفتح .

يقول محمود شاكر : ولكن الله مع هذه الفئة المؤمنة ومع المؤمنين في كل مكان -إن كانوا مؤمنين الله ﷻ معهم-،فكلما وقع المسلمون الصادقون في مأزق حرج قيض الله لهم الأسباب للخروج منه ، فقد قيض المولى ﷻ أمراً صدهم عن المسلمين حيث انقسموا إلى قسمين قسم مع رستم وقسم مع فيروزان وأتى الخبر إلى قائد الفرس "بهمن جازويه" فأسرع بالعودة إلى المدائن وهكذا كفى الله المؤمنين القتال وأنقذهم من هذا المأزق الحرج وأخذوا فرصةً كافية لتلقي الجيوش القادمة من دار الخلافة حتى تقوّوا وتكوّنَ لديهم جيشٌ كبير .

أنقذهم الله ، حدثت فتنة في المدائن فاضطر الفرس أن يسحبوا جيشهم حتى أتت الإمداداتُ إلى المسلمين ، ثم التقوا مرة أخرى ففتح الله ﷻعلى المؤمنين أرض العراق وانساح الفتح في أرض المشرق حتى وصلوا إلى إيران ثم من بعدها ما يسمى بالمنطقة الجمهوريات واستمر الفتح لفترة طويلة ، هذا نموذج آخر.

ونذكر ، نموذج ثالث لهذه القاعدة :

صلاح الدين الأيوبي رحمه الله ، جاء في زمان النصارى قد تغلغلوا وتأسسوا في أرض الشام، ولد صلاح الدين الأيوبي وقد سقطت أرض بيت المقدس بأيديهم -أي أنه ولد في زمن ضياع- كهذا الزمن الذي نعيش فيه اليوم.

ولد في هذا الزمان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله وعندما وصلت الإمارة إليه كان رجلاً صالحاً وفيه همةٌ عالية وأراد أن يفتح أرض الشام ، وكان يسيرُ على خطى نور الدين زنكي رحمه الله الذي تولى الأمر من قبله ولكنه توفي ولم يستكمل الفتح ، نور الدين زنكي كان قد بنى منبراً وقال : هذا المنبر للمسجد الأقصى؛ فصلاح الدين الأيوبي ورث هذه الهمة من نور الدين زنكي رحمه الله .

بدأ صلاح الدين الأيوبي بمناوشات مع الروم مناوشة هنا ومناوشة هنا ولكنها كانت مناوشات محدودة، ولكن الأمر بدأ يزداد وبدأت الفتوحات وبدأت الحصون تسقط والقلاع تسقط في أيديه ، -في أيدي الجيش المسلم-، وبدأت الرسائل تصل إلى أوروبا فقام البابا بإعلان التجنيد والإستنفار لحملةٍ صليبيةٍ جديدة، وكانت من أعظم الحملات التاريخية الصليبية على الإطلاق ، قام البابا بإستنفار للأمة المسيحية[٤] في كافة أرجاء أوروبا، وأرسل رسله والقساوسة إلى أركان أوروبا الأربعة ، فجاءته الجنود وخرج جيش عظيم، ومَن الذي يقود هذا الجيش ؟ ، هل يقود الجيش ضباط صغار من الجيوش الأوروبية ؟ ، هل يقود الجيش قيادات عسكرية ؟ ، الذين يقودون هذا الجيش هم ثلاثة من أكبر ملوك أوروبا على الإطلاق في ذلك الزمان ، "فريديرك بربروسا" ملك ألمانيا، (بربروسا) معناها

[٤] لعل الشيخ يقصد الأمة النصرانية

ذو اللحية الحمراء وكان رجلاً كبير في السن قد جاوز السبعين أو الثمانين من عمره ، و"لويس" أو "فيليب" ملك فرنسا ، و"ريتشارد" قلب الأسد ملك إنجلترا ، سمي بقلب الأسد من فرط شجاعته وهذه الشجاعة شهد له بها حتى المسلمين الذين أرّخوا له مثل ابن الأثير وابن كثير ، ذكروا عنه قصص عن فرط شجاعة هذا الملك كان أشجع ملوك أروبا في ذلك الزمن وقد يكون في تاريخهم قليل أن تجد ملك مثله في الشجاعة سمي بقلب الأسد ، هؤلاء الملوك الثلاثة خرجوا على رأس هذه الحملة الصليبية بالنسبة لملك فرنسا وملك إنجلترا ، الأسطول الإيطالي الذي كان أكبر أسطول في زمانه وافق على أن يحملهم في البحر ، يعني مشاركة من جميع الأطراف ألمانيا وفرنسا وبريطانيا بالقيادات والجند أتوا من بلدان شتى والأسطول من إيطاليا، فهي حملة صليبية يجتمعون على المسلمين ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

الأسطول الإيطالي حمل الجنود من فرنسا وبريطانيا ، لكن جيش فريديرك بربروسا من كثرته ما كان سيجد له أي أسطول يكفيه؛ فلذلك قرروا أن يسيروا بالبر ، يقول ابن الأثير : فخرجوا على الصعب والذلول براً وبحرا ، " حملة عظيمة !

كم كان عدد الجيش الذي خرج مع فريدريك بربروسا ؟ ، يقول ابن كثير : "وشاع بين المسلمين والفرنج بأن ملك الألمان قد أقبل بثلاث مائة ألف مقاتل " ثلاث مائة ألف في ذلك الزمان يعتبر عدد هائل لا يتصور !

طبعاً صلاح الدين الأيوبي أيضا استنفر من جانبه ، استنفر الناس فخرج معه ، طبعاً الجيش الثابت الرسمي لكنه أيضاً كان يستنفر المتطوعة يعني عامة الناس أن يشاركوا في هذا الجهاد فخر ج معه من عامة الناس ومن الأعراب قبائل العربية من أعراب التركمان وأعراب العرب ، وخرج معه جماعة من العلماء ، يقول ابن كثير : "وتجهز جماعةٌ من العلماء وغيرهم للخروج إلى الشام رغبةً في الجهاد" –لكن انظروا ماذا قال بعد ذلك– "ثم رجع كثيرٌ منهم حين بلغهم كثرة الفرنج". هذا النص من ابن كثير فالله أعلم ماهي الأسباب التي دعتهم إلى الرجوع ولكن في وضع مثل هذا ابن أثير يقول :" وكان حال المسلمين كما قال الله ﷻ﴿ إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدًا ﴾

ويقول ابن كثير: "فعند ذلك حمل السلطان والمسلمون هماً عظيماً وخافوا غاية الخوف". هذه شهادة ابن كثير يقول حتى السلطان صلاح الدين خاف، أعداد هائلة ! ، ولذلك لا ندري ماهو السبب الذي دعا أو التفصيلات؛ لأنه هو ذكر السبب الذي دعا هؤلاء العلماء إلى الرجوع وهو عندما بلغهم كثرة الفرنج، لكن تفصيلات ذلك ، ماهي المبررات ؟، هل قالوا إن صلاح الدين يريد

أن يزج بالأمة في معركة غير متكافئة ؟ أو أن يقول هذا من غير الحكمة أن يرموا بالناس هكذا في معركة القوى فيها غير متكافئة على الإطلاق ، أو أن صلاح الدين كان ينبغي أن يتمهل؟ أو أن صلاح الدين كان ينبغي عليه أن يربي الأمة أولاً، و أن يعدهم ثانياً ثم ينطلق بهم إلى الجهاد في سبيل الله ، قد تكون بعض هذه العبارات قيلت أو مثلها أو مايشابهها لكن في الأخير المهم أنهم تراجعوا .

وهنا لنا وقفة أيها الإخوة ، الحق لا يُعرف بالرجال ،اِعرف الحق تعرف أهله ، وأحياناً قد يصل المفضول في العلم إلى مالا قد يصل إليه الفاضل في بعض الأمور لنورٍ أو هدىً رباني يفتحه الله عليك وهذا يحدث ، فليس أحد معصوم لا من العلماء لا من العوام لا أحد معصوم إلا رسول الله ، فأحياناً قد يقع الخطأ مِن منْ هو كبير الشأن في الأمة ، وقد يقع الزلل ممن هو غزير العلم .

لذلك نرى أن صلاح الدين كما أثبتت الأحداث كان صادقاً ومصيباً بينما كان هؤلاء العلماء الذين تراجعوا مخطئين، صلاح الدين الأيوبي ما كان صاحب علم كثير ، صلاح الدين الأيوبي نشأ نشأة عسكرية ، هو من الأكراد أصلاً وليس من العرب لكنه كان يتحدث باللغة العربية ، ولكنه نشأ نشأة عسكرية طلب العلم على يد بعض العلماء في صغره ، كانت التربية العسكرية في ذلك الحين أن يقرأ العسكري بعض الكتب كالحديث في الفقه وفي العقيدة لكنه لم يكن معروف بغزارة العلم، بينما نور الدين زنكي كانوا كما يذكرون أنه كان يشارك في مجالس العلماء برأيه ولكنه ما كان يتحدث بألفاظ العلماء وطريقة العلماء ولكن كان عنده فقه.

أما بالنسبة لصلاح الدين فالأمر يختلف ولكن مع ذلك الله ﷻ هداه ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ هو جاهد في سبيل الله ﷻ مجاهدة ؛فالله عز وجل هداهُ إلى الحق.

في هذه الحادثة " بربروسا " أرسل رسالة تهديد إلى سلطان المسلمين يقول فيها (حيث أنك قد دنستَ الأرضَ المقدسة التي بإذن الرب الخالق قد أُعطيتْ لنا فإننا سائرون إليكَ لمواجهةِ هذه الجُرأة منك على الجريمة، أعد الأرض التي اغتصبتها إننا نمهلُكَ اثنا عشر شهراً وبعدها ستذوق حربنا وتعلم قوة صقورنا المنصورة وسترى كيف تغضَبُ ألمانيا، سنبعث إليكَ شباب الدانوب الذين لا يعرفون معنى الفرار، وعمالقةَ باباريا، ودُهاةَ صوابيا، وأهل الحماسة من برجنديا، وأهل اللياقة والخفة من جبال الألْب، إن يدنا اليمنى التي لعلك تظن أنها وهنت لِكبر سِنّي ستعلّمُكَ القتال بالسيف في يوم الفرحة والابتهاج التي قدّرها الإله لتنتصر فيها كلمة المسيح).

تهديدات ...كان رجلا متجبراً متكبراً، فريدريك بربروسا جاء بجيوشه التي تملأ البر، تملأ السهل والجبل، جاء بها يسير بها في أراضي شرق أوروبا حتى نزل بها جنوباً إلى أرض الأناضول تركيا، ومرّ على نهر، -الله اعلم -هذا النهر في أرض الشام أو في جنوب تركيا

المهم مرّ على هذا النهر –الله أعلم– قد يكون الماء في هذا النهر بارد؛ لأنه من الثلوج الذائبة في قمم الجبال وكان الجو صائفاً كان الجو حاراً.

وهم لا يقاتلون إلا في قرى محصنةٍ أو من وراءِ جُدُر، لابد أن يكون مدرع، "فريدريك بربروسا" كان في درع من حديد من رأسه الى أخمص قدميه لا تظهر منه إلا الحدقات، –حدقتا العين– مدجج بالسلاح مغطى بالحديد وهو على خيله ويسير في هذا النهر.

سبحان الله! قدرة الله ﷻ، لله ﷻ جنود يبثها في هذا الكون لا نعلمها ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ شيء ما ..

لا ندري ما هو ؟؟

أثار الخيل –شيء ما أثار الخيل–، فإذا بالخيل ينتفض بالماء فيسقط من على ظهره ملك الألمان فريدريك بربروسا فيقع في النهر –الله أعلم– مع شدة الحرارة بسبب هذا اللباس (الدرع الحديدي) وشدة برودة الماء أُصيب بسكتةٍ قلبية فمات وغرق.

انظر ماذا يقول ابن الأثير (فغرق ملك الألمان في مخاضةٍ لا تبلغ نصف الرجل)، الماء ليس ماءاً جارفاً وليس مرتفعًا أو عميق حتى نقول أنه يغرف فيه ،الماء لا يبلغ نصف الرجل ومع ذلك غرق فيه ملك الألمان، هذا الملك الذي كان يتجبر ويتكبر –ورأيتم ماذا يقول في رسالته– يغرق. "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب" –أي آذنته بالهلاك–. أهلك الله عز وجل فريدريك بربروسا ملك الألمان الذي ظن أنه سيفتح البلاد الإسلامية كاملة، أغرقه الله ﷻ فماذا حدث بعد ذلك؟ هذا الجيش العرمرم لا يمسكه إلا من كان قوياً هذه قبائل شديدة، وشخصية فريدريك بربروسا كانت فارضة نفسها على الجند فكان الجيش متماسكاً ولكنه عندما مات وتولى الأمر من بعده ابنه ما استطاع أن يمسك الجيش؛ فبدأت الشقاقات، وبدأ التنافر، وبدأت الخلافات، ثم تسامع الأعراب بذلك وجاءوا من أجل أن يغنموا، جاءوا يغنمون منهم ووقع فيهم الوباء والمرض؛ فماتَ من القتال الداخلي، ومات على يد الأعراب عدد، ومات بالوباء عدد فيقول ابن الأثير: "ووقع فيهم الوباء والموت فوصلوا إلى أنطاكيا وكأنهم قد نبشوا من القبور".

وكم الذين وصلوا، كم الذين وصلوا من هذا الجيش ؟

قال ابن كثير: " فما وصلوا إلى أصحابهم الذين على عكا إلا بألفِ فارس"، سبحان الله ! من ثلاثمائة ألف إلى ألف قالوا فلم يرفعوا بهم رأساً –يعني كانوا منتظرين هذا المدد فيرفع رؤوسهم– قال فلم يرفعوا بهم رأساً ولا لهم قدراً ولا قيمة هؤلاء الذين جاءوا ما لهم قدر ولا قيمة بينهم ولا عند أحدٍ من أهل ملّتهم ولا غيرهم، يعني سقطوا من نظر المسلمين وسقطوا من نظر الفرنج، هذا الجيش الألماني العظيم سقط من نظر الجميع أصبح لا شيء لماذا؟ ولكن؛ لطف الله وأهلك عامة جنده في الطرقاتِ بالبرد والجوع والظلال بالمهالك

-لطفٌ من الله- أُنظروا إلى كلام ابن الأثير يقول: " فخرجوا على الصعب والذلول براً وبحراً ولولا لطفُ الله بإهلاك ملك الألمان – وإلا- لكان يُقال أنّ مصر والشام كانتا من المسلمين". يعني كانت مصر والشام ستتحول إلى دار نصرانية خلاص سلمنا الأمر، ستتحول إلى نصرانية ينتهي الإسلام في مصر والشام ثلاثمئة ألف ولكن لطف من الله ﷻ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ .الله عز وجل سيكفيك، حسبنا الله ونعم الوكيل يكفينا، حسبنا الله والله عز وجل نعم الوكيل لنا هذا هو الإيمان وهذه هي المعاني الإيمانية التي استقرت في قلبِ صلاح الدين ومن معه فنصرهم الله عز وجل {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ} الله عز وجل سيأتي بالفتح إن اتقيتَ الله عز وجل، وآمنت بالله عز وجل، ووفيت بشروط النصر: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ إن وفيتَ بذلك الله ﷻ يقول: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ فجاء النصر من الله ﷻ .

إذاً ننتقل الآن إلى واقعنا نحن ذكرنا الآن أمثلة في هذا الأمر كيف أن الله ﷻ إذا أرادَ أمراً هيأَ له أسبابه وإن الله عز وجل أرادَ نصر صلاح الدين، وأراد نصر الرسول ﷺوأراد نصر المسلمين في زمن عمر بن الخطاب؛ فهيأ لهم الأسباب التي أتاحت لهم النصر يسرت لهم النصر

أولاً: تهيئ مناطق الصراع، أيها الاخوة يعني السن هنا متفاوت بينكم ولكن فلنعد إلى الوراء ثلاثين عام.. خمس وعشرين عام- في هذه الحدود- من أدرك منكم تلك الحقبة فليتذكر كيف كان الوضع في العالم الاسلامي، في ذلك الوقت كان يعقد -أذكر لكم بعض ما أذكر من ذلك الوقت وأنتم ايضا ممكن أن تستحضروا الذكريات-، كان في ذلك الوقت يعقد في صنعاء معرض للكتاب سنوياً وكنت أنا صغير في وقتها كنت في الابتدائية، في كتاب مكتوب عليه (الفتن والملاحم لابن كثير) فاشتريت هذا الكتاب وهو مقتبس من البداية والنهاية مقتبس من نهاية الملاحم والفتن لابن كثير .

الكتاب هذا يتحدث عن آخر الزمان، يتحدث عن أحداث آخر الزمان والفتن أذكر أيها الإخوة يعني أقرأ في الكتاب ، الكتاب يتحدث عن أرضِ الشام ، ويتحدث عن اليمن، ويتحدث عن خُراسان، ويتحدث عن العراق، ويتحدث أنّ هذه الأماكن ستكون فيها صحوة، وسيكون فيها جند وستكون فيها معارك وستكون فيها جيوش فأين كان الناس في ذلك الوقت؟

تتحدث أحاديث عن خُراسان –ما كنت أدري أين خُراسان– ولو علمت أين خراسان كنت أعلم أنها في حينها دولة شيوعية اشتراكية أفغانستان وما يجاورها، كانت في ذلك الوقت شيوعية، الأمر مستبعد أن يأتي منها شيء وتتحدث الأحايث عن العراق، وعصائب أهل العراق، يصير الأمر إلى أن تكونوا أجناد مجندة جندٌ بالشام وجندٌ بالعراق وجندٌ باليمن .

الجند أين الجند في العراق؟ كانت العراق بعثية وفي ذلك الوقت قبل الحملة الإيمانية التي جاءت في آخر فترة العراق، كان البعث متشدد جداً في القضايا الدينية يعني فصل كامل بين الدين والدولة –علمانية– ، والذين كنت أعرفهم من أهل العراق كانوا يسبون الله ﷻ ونبيه ؛ بل وكان في بعضهم إلحاد، أما بالنسبة للشام فالأحاديث كثير وكان في ذلك الوقت كان مقاومة ضد العدو الصهيوني؛ ولكنها كانت مقاومة اشتراكية قومية. وأيضاً كنت أعرف ناس من أهل فلسطين من أصحاب هذه التوجهات العلمانية كانوا لا يُبالون بسبب الدين وبسب الرب، كنت أقول سبحان الله يعني خيرة الله من أرضه، هذه خيرة الله من أرضه! ؛ لأن الرسول ﷺ في هذه الأحاديث يقول: " يصير الأمر إلى أن تكون أجنادٌ مجندة، جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن، قال فخِرْ لي يا رسول الله –الصحابي يقول فخرلي يا رسول الله– قال عليك بالشام فإنها خيرة الله في أرضه" [٥]سبحان الله هذه خيرة الله من أرضه هؤلاء الناس الذين يسبون الدين والذين هم بعيدين كل البعد عن شعائر الإسلامية حتى الظاهر منها والشعائر الأساسية كالصلاة والصيام ، الذين كنت أعرفهم ما كانوا يصلون؛ فأقول سبحان الله يأتي النصر من هناك..! واليمن "يخرج من عدن أبين اثنا عشر ألف ينصرون الله ورسوله خير من بيني وبينهم"[٦] .

---

[٥] روى أبو داود (٢٤٨٣) وأحمد في مسنده (١٧٠٠٥)وغيرهما عن عبد الله بن حوالة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجندة، جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق" قال ابن حوالة: خر لي يا رسول الله إن أدركت ذلك، فقال:"عليك بالشام، فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غدركم، فإن الله توكل لي بالشام وأهله" وهذا الحديث صححه الألباني، وذكره أبو داود في كتاب :الجهاد، باب: في سكنى الشام قال ابن القيم –رحمه الله– في عون المعبود (٧/١١٦)

[٦] رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٣٣/١) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢٤٢/٨) والطبراني في الكبير (٤٧/١١) كلهم من طريق عبد الرزاق، عن المنذر بن النعمان الأفطس، قال : سمعت وهبًا يحدث عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يخرج من عدن أبين اثنا عشر ألفاً ينصرون الله ورسوله هم خير من بيني وبينهم (

ورواه أبو يعلى في مسنده (٣٤/٣) من حديث عبد الأعلى بن حماد النرسي عن معتمر بن سليمان، عن المنذر به، ورواه ابن عدي في الكامل (١٧٦/٦) وابن الجوزي في العلل المتناهية (٣٠٦/١) من طريق محمد بن الحسن بن آتش الصنعاني، عن المنذر

ومحمد بن الحسن مختلف فيه، فقد وثقه ، أبو زرعة وغيره، وضعفه العقيلي والدارقطني وآخرون ، ولم يتفرد به فقد رواه غير واحد من الحفاظ عن المنذر

والمنذر بن النعمان الأفطس: قال أبو حاتم روى عنه معتمر بن سليمان وهشام بن يوسف وعبد الرزاق ومحمد بن الحسن بن أتش ومطرف بن مازن قاضي صنعاء، وقال عنه ابن معين ثقة. الجرح والتعديل (٢٤٢/٨)

وذكره البخاري في التاريخ الكبير (٣٥٨/٧) ولم يذكر فيه جرحاً أو تعديلاً، وذكره ابن حبان في ثقاته.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٥/١٠) رواه أبو يعلى والطبراني وقال (من عدن آتين) ورجالهما رجال الصحيح ، غير منذر الأفطس ، وهو ثقة. وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في السلسلة الصحيحة – ٢٧٨٢، ٢٨١/٦.

يعني كان ذلك ؛ المناطق التي تذكرها الأحاديث كانت ترزح تحت الحكم الاشتراكي الشيوعي فكنت أظن الأمر مستبعد بعيد جداً أن يأتي النصر، وفي خلال فترة وجيزة يعني أنا أذكركم الآن في ذاك الوقت حتى الذين منكم يذكرون تلك الحقبة يمكن أن تستحضروا الذكريات وأيضاً تقارنون، كان الأمر مستبعد جداً وإذا بالأمور الآن تتسارع، وفي أحداث تتسارع، انظروا الآن إلى الوضع في أفغانستان الصحوة الإسلامية في أفغانستان، والجند الذين في أفغانستان.

انظروا إلى العراق الآن صحوة عظيمة في العراق مُقارنةً في الفترة الماضية، وانظروا إلى الشام الجهاد في فلسطين طائفة قائمةٌ على الحق يقاتلون عليه، وانظروا أيضاً إلى الصحوة في اليمن، هنا في هذه الأرض ...

كيف أن الله ﷻ أحيا الدين في القلوب؟!

هذا كله في فترة وجيزة، لا نتحدث عن قرون نتحدث عن عقدٍ أو عقدين من الزمن لا شيء في مقياس البشرية أليس هذا تهييئٌ من الله ﷻ الأمر ؟ ألا ترون أن هذه المناطق –تحديداً– التي وردت في الأحاديث الآن تشهد صحوة، وتشهد قوماً يقاتلون على دين الله ﷻويثبتون على ذلك ويصبرون؟ أليس هذا دليلاً أن الله ﷻ يريد النصر لهذه الأمة وأن النصر قادمٌ وقريب؟. هذا الأمر الأول .

الأمر الثاني: يقول صلوات الله وسلامه عليه "أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلِ مئة سنة من يجدد لها أمَر دينها" [٧]وهذا الحديث صحيح فالله ﷻ يجدد أمر هذا الدين في كل قرنٍ من الزمان في كل مئة عام، وهذا التجديد يكون في الأمور التي تحتاج إلى تجديد، فهناك أمور من الدين تندرس في بعض الأزمة بدع معينة تنتشر، وفي أزمة أخرى بدع مختلفة، فينبغي (ينبري) لهذه الانحرافات أُناس يعيدون الدين إلى حاله الذي كان عليه في عهد السلف الصالح – رضوان الله عليهم أجمعين–.

فمسألة أن هناك أمور من الإسلام تندرس، هذه ثابتة وحاصلة حتى في النص، قال ﷺ" تنقض عرى الاسلام عروةً عروة أولها الحكم وآخرها الصلاة"[٨]

هذه أمور تنقض فتحتاج إلى تجديد ،الثوب إذا اندرس –إذا ذهب الرقم أو النقش الذي فيه –يحتاج إلى تجديد، فالدين يُجدد، معنى تجديد الدين ليس الابتداع أو تأتي بشيء جديد وإنما تجدده –أي– تعيده إلى الحال الذي كان عليه من قبل.

---

[٧] رواه أبو داود (رقم/٤٢٩١) وصححه السخاوي في "المقاصد الحسنة" (١٤٩)، والألباني في "السلسلة الصحيحة" (رقم/٥٩٩)

[٨] أخرجه الإمام أحمد (٢١٥/٥) ومن طريق الطبراني في الكبير (٧٤٨٦) وابن بطة في الإبانة الكبرى، والحاكم في المستدرك (٩٢/٤) وصححه وأخرجه أيضًا محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٤٠٧ (وابن حبان (٢٥٧) موارد .

كلهم من طريق عبد العزيز بن إسماعيل عن سليمان بن حبيب عن أبي أمامة قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تنقض عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فأولهن نقضًا الحكم وآخرها الصلاة» وهو حديث حسن وقد استدل بهذا الحديث الإمام أحمد على كفر تارك الصلاة.

من أهم الأمور في الإسلام الشريعة الإسلامية مسألة الحكم ، الحكم بما أنزل الله :

﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾، ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾. ؛ فالحكم مسألة تواترت فيها الآيات ، تكررت مسألة عظيمة مهمة، الخلافة الإسلامية التي هي مظلة للحكم الإسلامي متى انتهت؛ انتهت رسمياً في هذا الشهر في شهر مارس في عام ١٩٢٤ سقطت الخلافة الإسلامية رسمياً (الخلافة العثمانية) ؛ فلو استنبطنا من هذا الحديث بشارة أن الله ﷻ لن يترك هذه الأمة لأكثر من مئة سنةٍ بدون خلافة وبدون حكم الله عز وجل ،معنى هذا أننا أوشكنا العودة إلى هذا الأمر؛ لأن المئة سنة تنتهي في عام ٢٠٢٤ وأوشكنا على ذلك في التاريخ اقتربنا منه، هذه بشارة يمكن أن نستنبطها أو نستوحيها من هذا الحديث. هذا الأمر يحتاج إلى تجديد، الحكم بما أنزل الله أن يعود ولذلك بإذن الله سيعود قريباً.

الأمر الثالث:

قال صلوات الله وسلامه عليه " إذا تبايعتم بالعينة، وتبعتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى تُراجعوا دينكم"[٩] . إذا تبايعتم بالعينة، وتبعتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، هذه الأمور إذا فعلناها يسلط الله ﷻعلينا ذلاً ولا يُنزع هذا الذل حتى نعود إلى ديننا فـ نترك التعلق بالدنيا ،التبايع بالعينة والرضى بالزرع واتباع أذناب البقر ونجاهد في سبيل الله ﷻ. هذه الوسيلة لإزالة الذل ولإعادة العز.

هذه هي الوصفة النبوية، هذا هو المرض والعلاج ،المرض التبايع بالعينة يعني انشغال بالتجارة، وشُغلتم بالزرع انشغال بالزراعة، وتبعتم أذناب البقر –أي– مشغولين بطلب المرعى والمواشي وتركنا الجهاد لأننا اثّاقلنا إلى الأرض.

---

[٩] رواه أبو داود في سننه (٣٤٦٢) عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول" :إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه شيء حتى ترجعوا إلى دينكم ."

قال المنذري في مختصر سنن أبي داود (١٠٢/٥-١٠٣): في إسناده إسحاق بن أسيد أبو عبد الرحمن الخراساني نزيل مصر، لا يحتج بحديثه. وفيه أيضًا عطاء الخراساني وفيه مقال. قال الذهبي في الميزان (٥٤٧/٤): هذا من مناكيره .

وقال ابن حجر في بلوغ المرام (٢٤/٢) عن حديث ابن عمر هذا رواه أبو داود في رواية نافع عنه وفي إسناده مقال. ولأحمد نحوه من رواية عطاء ورجاله ثقات وصححه ابن القطان. وقال أيضًا في التلخيص الحبير (٩٧٣/٣): وعندي أن إسناد الحديث الذي صححه ابن القطان معلول لأنه لا يلزم من كون رجاله ثقات أن يكون صحيحًا.. انتهى .

هذا ومن العلماء من صحح الحديث بطرقه كالألباني –كما في السلسلة الصحيحة (١١)، والحديث له عدة طرق بين عللها البيهقي في سننه ج٥، ص: ٣١٦.

﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾. فهذا هو المرض، ولكن إن تركنا التعلق بالدنيا، والتسابق إليها، وجاهدنا في سبيل الله ﷻ، هذا هو الحل! والذين يختارون هذا الحل اليوم في ازدياد .. نراهم في العراق ونراهم في أفغانستان ونراهم في الصومال ونراهم في فلسطين..، يتبعون هذه الوصفة النبوية وهذه بشارة بقرب النصر، لأنه لا يمكن أبداً أن يخذل الله ﷻالذين جاهدوا في سبيل الله ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾؛ فطالما أنهم ثبتوا ولم يتراجعوا ولم ينتكسوا ولم يتأخروا؛ فإن الله ﷻ–لا محالة– سينصرهم، الذين صبروا واستعانوا بالله ﷻوساروا في هذا الطريق، الله ﷻ سيجعل العاقبة لهم، هذه مسألة يقينية لاشك فيها وهذه أيضاً بُشرى لنا ؛لأننا نرى هذا الأمر بازدياد. "لا تزال طائفة من أمتي على الحق يقاتلون عليه إلى قيام الساعة"[١٠].

رابعاً:

هؤلاء الأعداء اليهود والأمريكان يقاتلون من؟ ويسجنون من؟ ويؤذون من ؟ المسلمين .

يقتلون المسلمين ويسجنون المسلمين وفيهم من أهل العلم ويؤذون المسلمين ويحاصرونهم اقتصادياً، حاصروهم في العراق ويحاصرونهم الآن، يريدون أن يحاصروا وقد حاصروا أهلنا في غزة هؤلاء المسلمون فيهم أولياء الله عز وجل، فيهم أُناس صادقون، صالحون، يقول صلوات الله وسلامه عليه في الحديث القدسي: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب"[١١]. –أي– آذنته بالهلاك.

فهذا دليل على أن النصر قادم، أن الأذى من العدو في ازدياد؛ فالعدو طالما يقتل ويسجن ويؤذي من هذه الأمة فإن الله عز وجل لا محالة سيهلكهم. الله عز وجل سيهلك هؤلاء، هذه بُشرى لنا. العدو إذا استقصد هذه الأمة بالأذى فإن الله ﷻ، لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً،الله ﷻ يدافع عن الذين آمنوا .

خامساً:

ونختم أيها الإخوة عندما نتحدث عن نصر، وهذه بإذن الله بشارات لنا كما قال الله عز وجل هذه أيضاً مرتبطة بالنقطة السابقة، قال تعالى: ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾

قال الشوكاني قاتلوا ويترتب على ذلك فوائد:

---

[١٠] "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة" وفي رواية: "لا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة" أخرجه البخاري في صحيحه في الاعتصام بالسنة (٢١٥/٤)، ومسلم في صحيحه في الإمارة، انظر النووي على مسلم (٦٥/١٣)، وكل هذه الألفاظ في الصحيح.

[١١] انفرد بإخراجه البخاري دون بقية أصحاب الكتب الستة

الأولى : أن الله عز وجل يُعذب الكافرين بقتال المؤمنين لهم بالقتل والأسر هذا عذاب؛ عذاب للكافرين وهي مسألة مقصودة شرعاً أن يُعذب الذين كفروا الذين طغوا في البلاد؛ فالمسألة الأولى عذابهم بالقتل والأسر

الفائدة الثانية: (ويخزهم) إخزاؤهم بالأسر، وقيل بالذل والهوان فالأسر أو الهزيمة ذلٌ وهوان، وهذه أمور مترتبة على القتال:

الأمر الأول: تعذيب الكافرين

الأمر الثاني: إخزاؤهم.

يعني أبو الدرداء ﷺ عندما فتحت قبرص قعد يبكي، قال له الزبير بن نفيل: أتبكي في هذا اليوم، الله ﷻ نصرنا وفتحنا قبرص وأنت تبكي، قال: لقد كانت هذه أمة قاهرة ... كانت هذه أمة قاهرة ثم صاروا إلى السبي. وإذا صار الناس إلى السبي فلا حاجة لله فيهم .

يعني معنى أن الله ﷻ ترك هؤلاء القوم أن وصل بهم الذل والهوان أنهم يُسبون، يؤخذون عبيداً وأرقّاء؛ فلا حاجة لله فيه، وقال ما أهون الخلق على الله ضعفاً، ما أهونهم، هذا عذاب وإخزائهم لهم.

يقول الشوكاني:

الفائدة الثالثة: وينصركم عليهم، النصر يأتي بالقتال لا يأتي النصر بالقعود... يأتي بالقتال وينصركم عليهم.

الفائدة الرابعة: ويشفِ صدور قومٍ مؤمنين، قال هذا الشفاء للمؤمنين الذين لم يحضروا القتال.

والخامسة: ويذهب غيظ قلوبهم، هذا للمؤمنين الذين قاتلوا وشفوا غيظ قلوبهم لأن قلوبهم مُغتاظة للأذى الذي تحصّل لهم من هؤلاء الكفار ف الله ﷻ أذهب غيظ قلوبهم.

قال وفي الآية معنى آخر، في هذه الفائدة الرابعة والخامسة "ويشفِ صدور قوم مؤمنين" "ويُذهب غيظ قلوبهم" قال ويشفِ صدور قوم مؤمنين –أي– ببشرى الفتح مع ثقتهم به. الفتح لم يصل بعد ولكن نستبشر به للوعد الرباني ونثق بذلك لأننا نؤمن بما وعد الله

ﷻ هذا فيه شفاء لصدور المؤمنين في حال استضعافها يعني يستأنسون بهذه البشارات وهم في حالة ضعف، يستبشرون بالفتح الذي سيأتيهم مع أنهم في حال ضعيف.

﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، هذه الآية نزلت بعد هزيمة أحد.

ويُذهب غيظ قلوبهم هذا إذا جاء الفتح. النصر الذي نتحدث عنه الآن ليس نصراً جزئياً نحن لا نتحدث الآن عن تحرير غزة ولا الضفة الغربية ولا كابل ولا بغداد نحن نتحدث أن تتحرر الأمة وتقيم شرع الله ﷻ وتتوحد ثم تنطلق للفتح نحن لا نتحدث فقط عن تحرير الأرض الإسلامية، نحن نتحدث أن هذه ستفتح الهند وستفتح روما وستفتح المشارق والمغارب بناءاً على هذا الوعد الرباني وهذه الأحاديث النبوية الشريفة فهو نصر عظيم وفتح عظيم، ولذلك نرى أيضاً أن الشدةَ اليوم عظيمة والكرب عظيم؛ ولذلك سيأتي بعده نصر عظيم وفرج عظيم، وفي هذه يعني نقف هنا وقفة سبحان الله نرى أن الظلم من اليهود في ازدياد، والظلم من الأمريكان في ازدياد، والظلم من الهندوس في الهند على مواطنيهم من المسلمين في كشمير وغيرها في ازدياد، والأحباش يظلمون من جهة يعني..أصبحت الأمم تتداعى علينا كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. هذا الأمر وهذا التداعي وهذا الظلم الذي هو في زيادة يعني لم نشهد له مثيل في التاريخ أن تجتمع علينا هذه الأمم من كل بقاع الارض هذا الأمر أيضاً فيه بُشرى.

لأننا نتحدث عن فتح عظيم يعم الأرض فإن الله ﷻ يريد أن يقيم الحجة والشهادة على جميع الأمم في الأرض، حتى أوضّح هذه المسألة : لوط عليه السلام عندما جاءه الملائكة الثلاثة في صورة رجال جاءوا في صورة رجال تعلوهم،تعلوا على وجوههم ملامح الجمال والوسامة فجاءوا إلى إبراهيم عليه السلام ثم انطلقوا من عند إبراهيم إلى لوط كما ذكر المفسرون أن أول من رآهم ابنة لوط مباشرةً ذهبت إلى أبيها وأخبرته بالخبر، قالت "رجال غرباء جاءوا" .لوط مباشرة ذهب إليهم لماذا؟ بلغه أنهم فيهم جمال؛ فأراد أن يبادر إليهم هو وأن يستضيفهم هو قبل أن يضيفهم أحد من أولئك الأقوام الفجار. هؤلاء الرجال بما فيهم من جمال لو وصلوا الى بيت آخر. لذلك أراد لوط عليه السلام أن يبادر بالأمر ويأخذهم إليه مع أنه قد صدر قانون يمنع لوط عليه السلام من استضافة أحد ﴿ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

ممنوع أن تلتقي بأحد! قرار.. قانون، شرع يعمل به ولكن لوط عليه السلام لا يعمل بقوانينهم الوضعية، لا يعمل بهذه القوانين ولذلك استضافهم عنده وكان يتمنى أن معه رجال يدافعون عنه حتى يخرج على هذا القانون الظالم الجائر﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾. فخرج إليهم وقال أنا أستضيفكم أنتم عندي ضيوفي، طيب هو يعلم أنه ليس معه أحد يدافع عنه، يعني الله

ﷻ رزقه ببنات ما كان عنده ذكور، والقبيلة فاسقة فاجرة لا يقف معه منهم أحد ، كان يريد يحاول أن يصرفهم لكن ما كان يريد يقول لهم صراحة لا تأتوا عندي؛ حتى لا يظنوا أنه يبخل عليهم بالضيافة فيذهبوا إلى بيت آخر لكنه يحاول يفهمهم بالوضع .

قال أشهد بالله ، أشهد بالله أنه ما من قرية أفجر من هؤلاء ، افهموها لم يتكلموا .. كررها ثانية أشهد بالله أنه ما من قرية أفجر من هؤلاء ولا رد.. قال ثالثاً: أشهد بالله أنه ما من قرية أفجر من هؤلاء ولم يتكلم منهم أحد، لوط اضطر أن يدخلهم القرية خلاص ما في فائدة، لن يعلم لوط بأمر هؤلاء الملائكة كما ذكر ابن كثير، هؤلاء الملائكة كان عندهم أمر من الله ﷻ أن لا يدمروا قوم لوط حتى يسمعوا منه الشهادة عليهم كان عندهم أمر أنهم لا يدمروا هذه القرية حتى يشهد عليهم نبيهم فسمعوا الشهادة منه ثلاث مرات فجعلوا عاليها سافلها وأمطروا عليها حجارةً من سجيل.

اليوم الشعب الفلسطيني يشهد على اليهود، والأفغان والعراق يشهدون على الأمريكان، وفي كشمير يشهدون على الهند، وفي تركمانستان الشرقية يشهدون على الصين، والشعوب الإسلامية تشهد على حكوماتها؛ ولذلك بإذن الله تقوم الشهادة، وتتم عليهم الحجة، ويغلق ملفهم كما أُغلق ملف قوم لوط، عندما شهد عليهم وجاءهم العذاب فهذا أيضاً بشارة بنصر عظيم هو قادم للأمة لأن هذه الأمم تقيم على نفسها الحجة والشهادة اليوم ، فنستبشر بالنصر، ونسأل الله ﷻ أن يجعلنا سبباً فيه، ويجعل لنا دوراً في ذلك، لأنها أجور عظيمة ستوزع على الناس في ذلك الزمان الذين يقيمون للإسلام دولة ثانية.

اللهم يا الله أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين -أعدائك أعداء الدين-، اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان في فلسطين وفي أفغانستان وفي العراق وفي كشمير وفي الصومال، اللهم كن معهم يا أرحم الراحمين، اللهم وحدّ صفهم، وسدد رميهم، واجمع على الحق كلمتهم، ونجعلك اللهم في نحور أعدائهم، اللهم احصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً، اللهم فرّق شملهم، وشتت جمعهم، إنك أنت القوي العزيز الحكيم، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا ووالدينا عذاب القبر والنار، يا عزيز يا غفار

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته